Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



لالتبرير نطق من النطوق لاثبات مشروعيته ، إذ أن هذا الاتجاه فى التعليل قد يقضى على فكرة « الإبداع » فى اللغة ، فلربما ورد إلينا ، نطق من النطوق لم يسمع قبل ذلك ، فيتعلل اللغويون له بشتى الطرق لكى يثبتوا عقلانيته ومشروعيته ، رغم أنه نطق جديد تماما ، فنقضى على ما به من إبداع ، خاصة ما تتميز به الأساليب الرفيعة فى الكلام كالقرآن والشعر ، فكثيرا مايتعلل اللغويون لاثبات مشروعية بعض ماجاء بهما من نطوق يخشون غرابتها لأنها لم تتفق مع قواعدهم ، فيجهدون أنفسهم مستخدمين التأويل النحوى تارة ، والقياس تارة أخرى ، وغير ذلك من الوسائل التى رأيناها ، بينما لايكون السبب الحقيقى فى تفرد هذا النطق أو ذاك سوى مايتسم به الأسلوب الرفيع من الابداع الذى يأتى نموذجا لكى يُحتذى فيكون موضع القضية فى هذه الحالة ليس النحو أو الصرف أو غير ذلك ، وإنما موضعها البلاغة كى تعالج هذا الإبداع . ومعنى الإبداع هو أن لايأتى الكلام نمطيا أو جريا على أساليب العرب ، بل إن شرطه أن يأتى الأسلوب جديدا فريدا .

وأعتقد أن كثيرا من المسائل اللغوية التى عالجها الكوفيون والبصريون فى القرآن والشعر مكانها البلاغة ، ففى قوله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب - ١٥٤ ﴾ فإن الغضب لايسكت لأنه ليس حيا من الأحياء فكيف قيل ذلك؟ يلجأ الفراء - كما رأينا - إلى التعليل لكى يبرر لهذا القول فيؤول السكوت « بالسكون » قائلا : « والغضب لايسكت وإنما يسكت صاحبه ، وإنما معناه سكن » (٥) .

ونختلف مع الفراء ، فالسكون لايساوى السكوت ، إذ أن السكون يكون عن الجماد ، أما السكوت فيكون عن شيء حى ينطق . الأسلوب الرفيع يبث الحياة فى الغضب فيجعله حيا ينطق أو يسكت ، أما الفراء فيفرغ هذا الأسلوب مما فيه من إيحاء

---

(٥) الفراء : معانى القرآن ١٥٦/٢ . وانظر هذا البحث ص ١٧٠ - ١٧١ .